



+ آباؤنا القديسون

البار موسى الحبشي

تُعيّد الكنيسة المقدسة في الثامن والعشرين من آب لتذكار القديس البار موسى الحبشي الذي يُعتبر نموذجاً للتوبة إلى جانب القديسة مريم المصرية، وبعد أن كان قاطعاً للطرق وقاتلاً صار ناسكاً ومدافعاً عن المهجورين.

وُلد موسى في بلاد الحبشة عام ٣٤٠، وكان ما زال طفلاً عندما بيع عبداً من أحد أكابر مصر. شبَّ موسى على الرذيلة فطرده سيّده من قصره بسبب كثرة السرقات التي كان يقوم بها في القصر. جمع موسى عدداً من الشبان الأشقياء وألفوا عصابة لسرقة المسافرين، وكانوا لا يتوانون عن قتل من يقاومهم، أو تخريب ممتلكاته. وكان يبيع قسماً من مسروقاته ليشرب الخمر حتى السكر.

بقي موسى يعيش في الرذالة إلى أن بلغ الثلاثين من عمره، حين امتدت إليه يد الله ومست قلبه وانتشلتته من حفرة الرذائل وليل الخطيئة. ولئن كنا لا نعرف كيف اهتدى موسى، إلا أننا نعرف انه غيّر نهجه وقصد الصحراء المصرية ليعيش ناسكاً وسائحاً على دروب الرب، واصطحب معه أحد رفاقه اللصوص التائبين. هناك أخضع ذاته لإرشاد القديس مكاريوس الكبير الذي أخذ يريه وينميه في المسيح، فانكب موسى على الصيامات والتقشفات والصلوات. وحدث بعد فترة من تنسكه أن هاجمه أربعة لصوص في منسكه، فاستطاع أن يربطهم ويحبسهم إلى الدير القريب وطلب من الرهبان أن يصدروا حكمهم على اللصوص لأنه لا يستطيع أن يصنع شراً بأحد. توسل اللصوص إلى الرهبان معترفين بخطاياهم، ولما علموا أن هذا الناسك الذي فعل بهم هذا هو موسى قاطع الطريق الشهير، مجدوا الله وقرروا التشبه به والبقاء في الصحراء للتنسك والعيش في السيرة المستقيمة.

بعد مدة مضى موسى إلى مكاريوس مشتكياً من كثرة زيارات الرهبان له، فنصحه مكاريوس أن يتعد أكثر في القفار، فمضى وسكن في كوخ بعيد جداً لكي لا يزوره أحد، لكن الشيطان أراد إسقاطه فصار يجلب إلى مخيلته تلك الأفعال القبيحة التي كان يقوم بها عندما كان شريراً. ذهب موسى إلى أيسيدوروس كاهن السواح في البراري لطلب المشورة، فأشار إليه بأن الجسد الذي تعود على الرذيلة يلزمه وقت ليتعود على الفضيلة. وهكذا فإن فكرة الزنا سوف لن تعود إذا لم تجد آذاناً صاغية. عاد موسى إلى كوخه وضاعف التقشفات حتى انه لم يكن يأكل سوى القليل من الخبز، مرة واحدة في اليوم، إلى جانب قيامه بالعمل اليدوي والصلوات. بقيت الأفكار الدنسة تحاربه فقصده شيخاً



+ آباؤنا القديسون

آخر نصحه بتعويد نفسه على السهر طويلاً في الصلاة. واطب موسى على الصلاة أكثر حتى انه كان يقضي أيام عدة دون الجلوس كي لا ينام بل يواظب على الصلاة، لكن الشيطان ازداد محاربة له. فقصد ايسيدوروس مجدداً فأخذه إلى مكان عال وأراه من ناحية الغرب عدداً كبيراً من الشياطين الذين يحاربون الأبرار، كما أراه في الشرق عدداً كبيراً من الملائكة الذين يحرسون الأبرار من هجمات الشياطين. فالله لا يهمل أحداً وهو أشد قوة من الشيطان. المهم أن يتكل الإنسان على الله. عاد موسى متشجعاً وشاكراً المسيح على كل نعمة.

ولما أراد موسى أن يجد لنفسه نوعاً جديداً من الفضائل، وحيث ان الماء قليل في الصحراء، قرر أن يمضي ليلاليه وأيامه في جلب الماء للنسك الشيوخ، وكان يجتاز المسافات الطويلة لكي يجلب لهم الماء. وقد شهد له القديس ايسيدوروس بأنه تغلب على الشيطان وصار بإمكانه تناول الأسرار المقدسة. وصلّى ايسيدوروس لأجله فمضى بسلام إلى قلايته وعاش نظير باقي قاطني البراري من النسك.

بعدها جربه الشيطان بتجربة أفسى وهي الكبرياء، فتلفظ لكلمات مهينة للقديس مكاروريوس. سقط موسى على الأرض يتخبط ويزبد، فما كان من مكاروريوس إلا ان جثا على ركبتيه وصلّى إلى الله من أجل موسى فشفي وعاد متواضعاً.

بقي موسى يتقدم في الحياة الروحية حتى انه صار مقصداً للرهبان لطلب المشورة والبركة، ولما علم البطريك الإسكندري بفضائله ألزمه السيامة الكهنوتية وأوكل إليه رعاية كل النسك في تلك القفار، مما جعله أكثر تواضعاً وخدمة. ولما أراد والي مصر أن يلتقي موسى لكثرة ما سمع عن فضائله، هرب موسى عندما علم بقدومه. وإذا التقيا صدفة في الطريق دون أن يعرف الوالي موسى، وسأله الوالي عن مكان النسك موسى أجابه لماذا تريد رؤية هذا الجنون وتابع طريقه. عندما وصل الوالي إلى الدير وأخبر الرهبان عن هذا الشخص. سألوه عن شكل الراهب الذي التقاه، فأجابهم أنه رجل شيخ أسود حقير الثياب، فأخبروه ان هذا هو موسى الحبشي. عاد الوالي إلى مقره مجدداً الله على تواضع موسى.

عُرف موسى بمحبته الفائقة والرحمة الكبيرة، حتى انه عندما دُعي من الرهبان للمشاركة في إصدار الحكم على ناسك سقط في الخطيئة أتى حاملاً على ظهره دلوّاً مملوءاً بالرمل. ولما سألوه عنه



+ آباؤنا القديسون

أجابهم: «هذا هو حمل الخطايا الكثيرة التي ارتكبتها، وأنا حاملها على ظهري دون أن أشاهدها»
ففهموا مقصده وعاملوا السائح الخاطئ بالرحمة.

لم يكن موسى يتكلم عن الفضائل إلا أمام الذين يشعر أنهم مستعدون لذلك ويبدون جدية
في الموضوع. وكان يشدد على ان الراهب لا يمكنه أن يعيش بين الناس كما ان السمك لا يستطيع
أن يعيش خارج الماء.

بقي موسى زمنا طويلا في البرية وشاخ هناك، وكان البرابرة يعيشون قرب النساك ويهاجمونهم
من وقت لآخر. في أحد الأيام كان موسى يتحدث مع سبعة نساك وقال لهم ان البرابرة سوف
يهجمون لذا «من يريد الهرب فليهرب ويخلص نفسه». أجابوه اننا نموت معك لأنه رفض الهرب
قائلا: «من أخذ بالسيف بالسيف يؤخذ». هجم البرابرة في تلك الليلة وقتلوا موسى ورفقته إلا
واحدا اختبأ تحت سلة في الكوخ. هكذا مات موسى شهيدا بعد حياة جهاد طويلة. فبشفاعته اللهم
ارحمنا وخلصنا آمين.